

وقال أبو نهام* يرثي محمد بن حميد الطوسي

كَذَا فَلْيَجِلْ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ
تَوَفَّيْتُ الْأَمَالَ بَعْدَ مُحْـمَـدٍ
وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلِّ مَالِهِ
وَمَا كَانَ يَذْرِي مُجْتَدِي جُودِ كَفِّهِ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَّلَتْ لَهُ
فَتَى كَلَّمَا فَاضَتْ عُيُونُ قَبِيلَةٍ
فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِيهِ
فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَيْتَةٌ
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ
وَقَدْ كَانَ قُوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا قَرْدُهُ
وَنَفْسُ تَعَافٍ الْعَارِ حَتَّى كَانَتْ مَا
فَقَائِبَتْ فِي مُسْتَنْقَمِ الْمَوْتِ رِجْلُهُ
غَمًّا عَدُوَّةً وَالْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا دَجَى
كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وفَاتِهِ
يُعْزُونَ عَنْ ثَاوٍ تُعْزَى بِهِ الْعُلَى

فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرُ
وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السُّفَرُ^(١)
وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْعُسْرُ^(٢)
فِجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ وَانْتَفَرَ الثُّغْرُ^(٣)
دَمًا ضَحِكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكْرُ
فَقَسِي بِأَسِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرُ
تَقُومُ مَقَامَ النُّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النُّصْرُ
مِنَ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمْرُ^(٤)
إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمَرْءُ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ^(٥)
هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ
وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَحْمَصُكَ الْحَشْرُ
فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانَهُ الْأَجْرُ
لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ^(٦)
وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالشُّعْرُ^(٧)

* أبو نهام : هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي . ولد في بلدة جاسم من قرى حوران في سوريا عام ٨٠٤ م . ثم ارتحل إلى مصر ، فإلى بغداد حيث أقام في العراق . يعد من أمراء الشعر العربي القديم . كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب ، وقد اختلف النقاد في التفضيل بينه وبين المتنبي . ولي بريد الموصل ، وتوفي هناك عام ٨٤٦ م . له ديوان شعر ، ومن آثاره : (فحول الشعراء) و (ديوان الحماسة) و (مختار أشعار القبائل) و (الوحشيات) و (نقائض جرير والأخطل) .

(١) السفر : الشخص المسافر

(٢) المجتدي : طالب المعروف - استهلته : بدأت بالعطاء

(٤) القنا : الرماح

(٥) قوت الموت : النجاة منه - الوعر : الصعب

(٦) بنو نبهان : قوم محمد بن حميد الطوسي

(٧) ثاو : راقد